مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (01) جـوان 2024 ص ص 363-377

مفهوم الإنسان في التصوف الإسلامي عند حسن حنفي

Human concept in Islamic Sufism according to Hassenhanafi

شنه أمال[1*] ؛ محمد نور الدين جباب[2]

[1] مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر -جامعة الجزائر2 (الجزائر).

البريد الالكتروني المهني: chenna.amel@univ-alger2.dz

[2] جامعة الجزائر 2 (الجزائر).

البريدي الالكتروني: djebab.nouredine@gmail.com

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/12/28	2024/04/09	2024/06/01

الملخص: الهدف من هذه الدراسة هو التعرف على موقف حسن حنفي من التصوف الإسلامي الذيبعتبر التصوف تجربة روحية تجعل المتصوف يعيش في هذا العالم الروحاني الذي يسعى من خلاله للوصول إلى مرحلة صفاء النفس والتقرب إلى الله.

ومن هذه الغاية الروحانية بدأت الدراسات في الفكر العربي تسعى لإيجاد الأبعاد الإنسانية في التصوف الإسلامي وتحويله من تجربة فناء إلى تجربة بقاء وهو ما نجده عند حسن حنفي الذي عمل على استدعاء الانسان في التصوف من خلال الاهتمام به.

الكلمات المفتاحية : التصوف، الانسان، الروح، البقاء،المتصوف.

Abstract: The aim of this study is to identify a situation Hanafi of Islamic Sufism as it is considered Sufism experience spiritual make Sufi live in world spiritual aim to serenity itself for approach to God.

It is to this aim started studies in Arab thought its purpose finding humanism in Islamic Sufism and translate from an experience courtyard to an experience for survival.

This is what Hassan hanafi talked about it he called to present the human in Islamic Sufism by taking care of it.

Keywords: *Sufism،human، Sufi، survival، the spirit*

*المؤلف المرسل

مقدمة:

طالما كانت النزعة الإنسانية هي الهدف الذي تسعى إليه مختلف الأنساق الفلسفية والمنظومات الفكرية، من هنا اتّخذت النّزعة الإنسانية تمثّلات عدّة في الفلسفة الغربية؛ التي اتخذتها مرجعيّة لمذاهبها من لدن الفلسفة اليونانية عند **سقراط** Socrates (470ق.م-399ق.م) مثلاً الذي انصبّ اهتمامه على الإنسان؛ وكذا فلسفة القرون الوسطى التي لم تغفله، وبخاصّة من ناحية تمثله للقواعد الدينية، على أنّ الفلسفة الحديثة كانت أكثر تمركزاً حول الإنسان، مذْ دعوة ديكارت، وبخاصّة في ناحية العقل؛ الملكة المشتركة بين جميع البشر.

لقد دعت مختلف الفلسفات إلى التمركز حول الإنسان، نفس هذا التمركز نجده في الفكر الإسلامي، وبخاصة التصوف، الذي يعدّ تجربة روحانية تجعل المتصوف يعيش في الوجود،وهمّه العثور على وسيلة تقرّبه من الله.

من هنا ظهرت العديد من المشاريع الفكرية العربية التي تدعو إلى بعث الجانب الإنساني في التصوف الإسلامي،لعلّ أبرز المفكرين الذين تبنّوا هذا الطرح؛ المفكر المصري حسن حنفي (1935-2021)، الذي عمد إلى تحويل النظرة التقليدية للتصوّف من تجربة فناء، إلى تجربة بقاء.

ولعلّ هذا الذي قلناه هو ما يحفّز على طرح إشكال مفاده؛ أنّه إذا كان التصوف يسعى لتحقيق الفناء في الدنيا للوصول إلى المقامات العليا في الآخرة؛ فكيف جعل حسن حنفي من التصوف بعدا إنسانيا وذو غاية دينية في نفس الوقت؟

في الإمكان – بعد هذا- النظر في إشكالات صغرى من مثل :

- ما الأبعاد الإنسانية التي رصدها حسن حنفي في التصوف ؟
- ما الأسس التي أعاد بها حسن حنفي بناء علم التصوف؟

1. إعادة قراءة التراث الإسلامي عند حسن حنفي :

وضع حسن حنفي مشروعه الحضاري على ثلاث جبهات رئيسية، لعلّ أوّلها أنّه حدّد موقفه من التراث الإسلامي، فقد قدّم قراءة نقدية للتراث الإسلامي تنطلق من إعادة بناء العلوم الإسلامية، ومن بينها الفقه والتصوف والعقيدة، أنّ العلوم النقلية والعقلية - حسب حنفي- وجب إعادة النظر فيها، والبحث في مختلف الجوانب التي تقوم عليها، وقد لجأ حسن حنفي إلى مثل هذا النقد القرائيّ لأنه رأى أنّ التراث العربي أغفل لعض الثيمات، وهو الأمر الذي حال دون تجاوز الكثير من العقبات المعرفية التي تعيق تقدم العالم العربي.

كانت سمة الرفض هي منطلق حسن حنفي، "رفض الأخذ بالنص التراثي لأنه لم يعد يجدي شيئا طالما بقي على ما هو عليه، والغاية من ذلك تحقيق الإبداع" (مروزق ع، د.ت، ص 220)، وقد تجلّى هذا الرفض من خلال دعوته إلى رصده لحركة التراث، ودعوته إلى إعادة قراءته، ويأتي الرفض عند حسن حنفي أيضاً من تصوّره لأنّ النصوص التراثية فقدت خاصّية التكيّف والتجاوز، لأنّها بقيت حبيسة تفكير منغلق، ولم تتماسّ مع أرض الواقع، فتحقق إنسانيّة للإنسان، وكينونته في الوجود، وعلى هذا أسّس دعوته على إعادة النظر في نصوص التراث، ورصد نقاط قوّتها، وتقويتها أكثر، وتجاوز نقاط الضعف، من خلال تسليط المناهج القرائيّة الحديثة عليها.

إنّ الغاية التي يطمح إليها مشروع حسن حنفي هي تحقيق الإبداع والتميز في دراسة التراث، وهي الغاية التي سعت إليها كلّ المشاريع الفكرية العربية من لدن الجابري (1935-2010) وأركون (1928-2010) وطه عبد الرحمان (1944) والعروي... مع اختلاف في المنهج المتبع، فإذا كان أركون انتهج الحفريات الفوكوية، فقد كان منهج الجابريّ ذا صبغة بنيوية مثلاً... وهكذا كل المشاريع العربية الكبرى، تختلف منهجا، وتتّفق على غايةٍ واحدة هي العمل على إعادة قراءة التراث.

إنّ إعادة قراءة التراث، وتطبيق المناهج عليه ضمن المشروع الحضاري لحسن حنفي لا ينطلق من كونه تراثا دينيا، بل لأنّه تراثٌ وطنيّ، يقول:" وتراثنا القديم ليس قضية دينية لانطباعه بصبغة دينية، ولأنه قام ابتداءً من الدين، لكنه قضية وطنية تمس حياة المواطنين وتتدخل في سعادتهم وشقائهم" فالذي يعنيه حسن حنفي من خلال هذا القول هو أن التراث لا يجب أن يكون مقدسا على اعتبار أنه ذو طابع ديني، بل هو قضية إنسانية تنطلق من العمل على تحسين حياة البشر. (حنفي، 1990، ص25)، لأنّه المنوط تحقيق السعادة للإنسان إذا أحسن الاستفادة منه.

يريد حسن حنفي من خلال دراسته للتراث أن ينزله من درجة التقديس التي صبغه بها الدين، إلى كونه قضية العامة، فهو انشغال عام وليس مقدس لا يمكن المساس به، يعبر حسن حنفيعن هذا بـــ"إعادة الاختيار بين البدائل طبقا لظروف العصر المستجدة وصراع القوى السياسية و الاجتماعية، وهذه هي القراءة الوظيفية للتراث" (حسين، 2011، ص 258).

إن القراءة الجديدة التي يدعو إليها حنفي ليست كالقراءات التقليدية، بل هي مشروع قراءة لا يكتمل، تتجدد بتجدد روح العصر، فالدارس للتراث يحاول أن يختار بين البدائل المتعددة، إنّها قراءة تستجيب للصراعات السياسية والاجتماعية، التي طالما سماها حنفي بالوظيفة التي تضمنها قراءة التراث.

فعند قراءة حسن حنفي لعلم أصول الفقه وجد بأنه يفتقر إلى الإبداع، من ثمّة دعا إلى ضرورة توفّره على الجرأة العلمية، وروح الاجتهاد، ونفس الأمر عن علم الاعتقاد، حيث دعا فيه إلى تغليب الجانب العقلي فيها، أمّا في مجال التصوف فقد حاول أن يجعل من الإنسان البعد الأهمّ فيه، من خلال رفضه المستميت تغييب الجانب الإنساني في التصوف والتجارب الروحية.

2. **مفهوم التصوف الإسلامي:**

ظهرت العديد من التيارات الروحية التي دعت إلى التخلي عن الدنيا والعمل من أجل الآخرة، ومن أشهر هذه التيارات التصوف، الذي عرف في البيئة الإسلامية انتشارا واسعا، إذْ يعرّف التصوف على أنه:"طريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد، والتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل، لتزكو النفس وتسمو الروح" (صليبا، 1982، ص 282).

التصوف حسب هذا المفهوم يعني المسلك الذي يتبعه الإنسان ليصل إلى المراتب العليا، وبه يستطيع أن يقوّم سلوكه، ويزكي نفسه وروحه، فتسموان إلى الدرجات العلى، من هنا يكون التصوف الطريق الذي يساعد الإنسان على إشباع الجانب الروحي، والابتعاد عن الدنيا وملذّاتها، ويتحلى بالفضائل الحسنة، "فالصوفية يعتقدون أنّه في وسع الإنسان أن يصل إلى الحقيقة بغير طريق العقل، وأنّه يستطيع أن يصدق بالشيء من دون أنْيتبيّن أسبابه العقلية، لأن الحكم تابع للعاطفة والإرادة ". (نفس المرجع، ص 283).

فلا يحتكم المتصوفة للعقل بل يولّون بوصلة البرهان تلقاء الوجدان والإرادة، فهم يأخذون بكل ماهو وجداني عاطفي، إنّ طريق الحقيقة عندهم هو العاطفة والأحاسيس، وليس العقل،لأنه عاجز عن البرهنة على الجانب الروحي في الإنسان على الأقل لا يمكن الاكتفاء به كدليل موصل لليقين، لهذا قال الجنيد عندما سئل عن التصوف: "أن تكون مع الله بلا علاقة "، (الطوسي س، 1960، ص 45)، من خلال مفهوم الجنيد للتصوف يتضح أن الصوفية لا يعتمدون على العقل، وإنّما على الذّوق، فهم يستشعرون تلك العلاقة بين الإنسان والله ذوقياً.

أما ابن سينا(370ه-427ه) فيعرّفه بأنه "المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت، مستديما لشروق نور الحق في سره"، (ابن سينا، 1994، ص 5) فمن خلال هذا التعريف؛ يتضح أنّ التّصوف عند ابن سينا يتفق معما هو عند الفارابي، فهو متصل بالفكر ليصل إلى درجة النور الإلهي، وهو الغاية التي يسعى للوصول إليها، فالمتصوف من خلال

الطقوس والعبادات التي يقوم بها، يحاول الرقي بنفسه إلى المقام الأعلى في التصوف، وهو بلوغ درجة الصفاء والنقاء في نفسه.

إذ ليس الهدف من التصوف التقشف والابتعاد عن ملذات الدنيا، بل العكس فيه جوانب ايجابية تبعث في النفس الطمأنينة فهو "الزهد في المنافع، والخيرات، والتشريفات والمثوبات، والصوفي هو الذي جعله الله وجوده الواحد و ليس مجرد شبيه به، وهو العدل الإلهي الذي يوافق إرادته إرادة الله، فيريد ما يريده الله" (الحفني، 1980، ص 198).

يمثل التصوف رياضة روحية وعملية تستطيع الوصول بالإنسان إلى أعلى الدرجات،لأنّ الهدف منه تحقيق السعادة الروحية، وليست السعادة الدنيوية من خلال الذوق والعرفان، فالفناء هو الجانب السلبي في التصوف، وجب استبداله بالجوانب الإيجابية، وتغذية الروح والعقل وثمرتها السعادة التي يحس بها المتصوف.

إنّ ما يشاع عن التصوف أنّه تلك القيم السلبية التي يقوم بها المريد في سبيل تحقيق نجاح تجربته الصوفية، لكن الحقيقة أنّه يتضمّن قيما ايجابية كالسعادة والراحة النفسية، وتحقيق الطمأنينة، وتحقيق الذات لوجودها في ظل السمو، هناك تتحقق العدالة الإلهية حسب التصوف، بحيث يسير الإنسان في طريق الله المستقيم، ويقوم بكل الأعمال والعبادات التي دعانا الله إليها.

إن العدالة الإلهية عند المتصوفة تتحقق عندما يصل المتصوف إلى أسمى الدرجات الروحانية التي تقربه إلى الله، بفضل الأعمال الحسنة والعبادات وهذا معنى التصوف.

3. البعد الإنساني في التصوف الإسلامي عند حسن حنفي :

اهتم حسن حنفي بالتصوف الإسلامي وذلك من خلال ما قدّمه من دراسات فيه، فهو يعرّفه بأنّه: "علم إنساني يبدأ من الإنسان الكامل، الإنسان الأخلاقي، وهو الإنسان المتعين"، إنّ التصوف حسب حسن حنفي؛ تجربة تنطلق من الإنسان، فقد عرفه بأنه علم

إنساني أي يبدأ من الإنسان، وينتهي إليه، ثمّ إنّ مواصفات هذا الإنسان أنه أخلاقي كامل ومتعين، (حنفي ح، 2009، ص 28).

إنّه بهذا يعطى التصوف مفهوما مغايرا، فهنا ليس التصوف من لبس الصوف، وليس تجربة روحية، بل هو نزعة إنسانية تحرك الإنسان من خلال مشاعره الروحانية، فيصبح التصوف قوة محركة تدفع بالإنسان من أجل تحقيق وجوده، فهو "تجربة إنسانية تعبر عن نفسها ببساطة ووضوح، قبل أن تكون تحليلات نظرية خالصة، أو شطحات أو إشارات أو رموز". (حنفي، 2009، ص25).

هنا كذلك يعتقد حسن حنفي بأن التصوف ليس مجرد طقوس وإشارات ورموز، بل هو تجربة إنسانية تعبر عن ذاتها قبل أن تكون تنظيراً خالصاً، فهنا يتجاوز كل المظاهر التي تنسب إليه، فهو بالدرجة الأولى إنساني، يعبر عن ذاته، وأداة التعبير هي كل المظاهر التي يقوم بها، فقد"نشأ التصوف كتوجه نحو الآخرة،وكردّ فعل على التكالب على الدنيا، والتقاتل على السلطة ". (حنفي، 2009، ص 31).

من خلال هذا، التصوف لم ينشأ بسبب الرغبة في إشباع البعد الروحي، وإنما بسبب الأزمة التي يعاني منها العالم الإسلامي، وخاصة الحروب على السلطة، واتباع الدنيا، فهذا التيار نشأ كهروب من هذه الأوضاع، والانتقال إلى العالم الروحاني الذي فيه جانب من الاستقرار، والراحة النفسية، على عكس العالم الذي يعيش فيه الإنسان؛ مليء بالمشكلات واللااستقرار الذي يضيق عليه.

ومن ثمّة يكون حسن حنفي قد جعل من الإنسان محورا أساسيا في التصوف، ويظهر"الإنسان أخيرا فيها كبعد مستقل، واكتشاف الشعور، فالشعور نقطة بداية لتأسيس العلم (...) والتصوف"، فمن خلال إعادة قراءة التصوف عند حسن حنفي، توصل إلى نتيجة مهمة وهي اكتشاف الإنسان كمبحث مهم، فهو البعد المستقل في هذا العلم، فهو يبدأ

من الانسان لينتهي إليه، وخاصة الإنسان من حيث هو شعور، فهو نقطة البداية في تأسيس العلم وخاصة علم التصوف. (حنفي، 1999، ص 187).

لاحظ حسن حنفي أن "الإنسان ضاع أمام حضور الله، وضاع التاريخ أمام حضور الوحي، قد تكون مهمة الباحث اليوم هي إعادة المحاور والبؤر، واكتشاف الإنسان والتاريخ" (الآلوسي ح، 2017، ص 137)، فمبحث الإنسان حسب حسن حنفي كان مغيباً في الجانب الديني، فوجب إعادة الاعتبار إليه كمبحث قائم بذاته، فهو يقترح على الباحثين إعادة إحياء مفهوم الإنسان والتاريخ، والتركيز عليهما، فيجب الاهتمام بالإنسان حتى ولو كان ضمن إطار ديني، وهنا يقصد التصوف، فلا يمكن تغييب المجال الإنساني داخل الطرق الصوفية، بل بالعكس جعله من أولى اهتماماتها.

يقول حسن حنفي في سياق حديثه عن قراءته للتراث الإسلامي وخاصة التصوف:"فإذا سئل لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟ كانت الإجابة بل حضر بوضوح في التصوف"، فهنا يعترف بالأهمية التي يحتلها التصوف، والقيمة التي تجعله مهما في التراث الإسلامي، وهي تركيزه على مبحث الإنسان الذي كان مغيبا في باقي التراث الإسلامي، فهو يظهر بقوة فيه، وخاصة التمركز الصوفي على ما يطلق في عصر النهضة الغربية بالنزعة الإنسانية. (المرجع نفسه، ص 28).

طالما كان الغرب يدعي أنه مركز النزعة الإنسانية، لأن حاول الاهتمام بالإنسان الذي كان مهمشا في فترة القرون الوسطى، فجاءت الفلسفة الحديثة وعلى رأسها فلسفة ديكارت (1596-1650)Descartes ، تدعو إلى البحث في الإنسان والعقل والمعرفة، بينما نجد في الفلسفة المعاصرة Faucault **ميشال فوكو** (1926-1984)، يرى بأن هناك جوانب همشها الفكر الغربي، أو ما يطلق عليه المسكوت عنه، ففي تكريسه لفلسفة العقل؛ همّش الفكر الحداثيّ كلّ ما هو ظلّ، وغير مؤسّساتي من مثل المجانين، والمساجين.

ومن " ثم لا تدعي حضارة واحدة فقط مثل الحضارة الأوروبية إنها هي الوحيدة صاحبة النزعة الإنسانية، في حين مثلها التصوف منذ إخوان الصفا حتى ابن عربي، وقد تكون أحد أسباب أزمة حقوق الإنسان في وجداننا المعاصر؛ هو غيابه في التراث القديم وحضوره في التصوف كإنسان إلهي". (حنفي، ص 28)، من خلال هذا الموقف الذي اتخذه حنفي من الغرب الذي يدعي بأنه هو مركز النزعة الإنسانية، ولا يمكن لأي حضارة أن تكون فيها النزعة الإنسانية هي التي تصبغها من غير الغرب.

هنا يقدم حسن حنفي مع ميشال فوكو نقدا للحضارة الأوروبية، بأنها ليست هي الحضارة المتميزة بالنزعة الإنسانية، فالحضارة الاسلامية تتضمّن أمثلة ونماذج كثيرة اتخذت من النزعة الانسانية والاهتمام بالإنسان، من كل الجوانب النفسية والدينية والروحية والعقلية، فلا يمكن إغفال أنّ أبو حيان التوحيدي -كما يرى محمد أركون و**عبد الرحمان بدوي** (1917-2002) بأن أفكاره تحمل بذور هاته النزعة، وكذلك إخوان الصفا وابن عربي الذي اهتم بالإنسان في التصوف، هذا من أكبر الأدلة على وجود النزعة الإنسانية في التصوف الاسلامي.

لكن الانسان الذي نجده في التصوف يحمل معنىً إلهياً وليس بشرياً، لأن المتصوف يسعى من خلال قيامه بالعبادات إلى الوصول إلى مرحلة صفاء النفس، وبالتالي ينال الإنسان الرضا والتقوى، فيصل إلى الجنة.

4. إعادة بناء علم التصوف عند حسن حنفي:

حاول حسن حنفي إعادة بناء العلوم، وذلك ضمن إطار مشروعه الحضاري، ومن هذه العلوم علم التصوف، فهو يرى بأن "التصوف ليس علم فحسب، بل فلسفة في التاريخ تقوم على تصور منهار للعالم،و" من هذا المنطلق يرى حسن حنفي أن التصوف يحمل نزعة تشاؤمية اتجاه العالم، فهو بمثابة قراءة للتاريخ تستند إلى الابتعاد عن العالم، وهذا

باعتباره مأساوي، فهو ليس علم فقط، وإنما هوفلسفة تاريخية تنظر للعام بسلبية، والتصوف هو المهرب من هذه المأساة. (حنفي، ص 906).

ومن هنا بدأت محاولة حسن حنفي في "إعادة بناء علم التصوف القديم، ليعود من جديد إلى الواقع، وإلى حياة الناس،ومن الصعود إلى السماء رأسيا، إلى السعي في الأرض أفقيا"(خالد ح، ص 263)،أيْ أنّحسن حنفي يدعو إلى تأسيس علم التصوف طبقا للواقع، وبالتالي يصبح إيجابياً، فقد كان التصوف حسبه مجرد عالم خيالي حقق للإنسان الهروب من الواقع المرير الذي يعيشه، فوجب -من منظور حنفي-إرجاع التصوف إلى العالم الواقعي، بحيث يعالج مشاكل هذا الواقع؛ وليس الهروب منه.

كذلك، يعتقد بأنه يجب تجاوز الصراع بين المتكلمين والمتصوفة للوصول إلى تأسيس علم التصوف، يقول في هذا الشأن: "المتكلمون في صراع مع الصوفية،وهو الصراع بين منطق العقل ومنطق الذوق، بين البرهان والكشف، ومحاولة الفلسفة الإشراقية من ناحية، وحكمة الإشراق من ناحية أخرى الجمع بينهما"، (مهنانة ا، د.س، ص 375) فهو يرى بأنه على التيارات الإسلامية تجاوز الصراعات فيما بينها، والاهتمام بتأسيس علوم تبدأ من الإنسان، لتجعل من العلوم الإسلامية وسيلة فعالة في تحقيق التطور، فالصراع بين المتكلمين والصوفية ليست الغاية منه التركيز على الإنسان، بل هو اثبات للأولوية، والنقطة التي يراهن عليها حسن حنفي في تنظيره لمشروع التراث والتجديد هو التركيز على الإنسان، وذلك لتجاوز الجانب السلبي في التصوف الذي أهمل الإنسان.

فالتصوف عند حسن حنفي"هو التأسيس الوجداني للعلم،يجمع أنواعا من الإشارة، وضروباً من العبارة، وبالتصوف جرأة على البلاغة " (حنفي، ص909)، فالتصوف عند حسن حنفي هو العلم الذي يقوم على الوجدان، بحيث أنه يرتكز على كل الجوانب الإنسانية المحيطة به، فيعتمد على الإشارة والعبارة، وهو العلم الذي يتحكم في البلاغة،

فهو يؤكد في كتابه "من الفناء إلى البقاء، وهي محاولة لإعادة بناء علوم التصوف باعتباره الممثل للمنهج الوجداني". (القرشي، د. س، ص 396)، فهو يرغب في قيام علم التصوف على أساس منهجي ينطلق من الوجدان إلى الإنسان، الذي بدوره يساهم في تغيير الواقع، فيصبح التصوف علم حركي، بعدما كان جامدا بعيدا عن الحياة الواقعية، فهنا تحدث ثورة حسبه من التصوف كتجربة جماعية، إلى التصوف الفردي الذي يعمل على تحريك الإنسان لتحقيق وجوده الفعلي، وهنا يخاطب شيوخ التصوف قائلا :"إلى كل مشايخ الطرق الصوفية كي يعودوا إلى العالم من جديد"، في إشارة منه أنّ التصوف أصبح مثاليا بعيدا عن الواقع، فشيوخ الصوفية قد سلكوا منهلهم بعيدا عن الحياة الواقعية، فأصبح الإنسان يعاني حالة من الإغتراب، فهو يعيش في العالم وليس موجودا فيه.

تأسيس حسن حنفي لعلم التصوف كان الهدف منه إعادة بعث الإنسان من جديد، والتركيز عليه سواءً من الشيخ أو المريد.

5. جدلية الفناء والبقاء في التصوف الاسلامي من منظور حسن حنفي :

تعارف المتصوفة على العديد من المقامات الروحانية التي يصل إليها المتصوف من خلال الطقوس التي يقومون بها، وكذلك التجارب الروحية التي يشعر بها، ومن هذه الدرجات هي درجة **الفناء**، فهو "الذي تتوارى فيها آثار الإرادة والشخصية، والشعور بالذات، وكل ما سوى الحق، فيصبح الصوفي وهو لا يرى في الوجود غير الحق "، (أبو العلا، 2017، ص 153)، فمعنى الفناء هو أنه لا يوجد شعور ونفس وجسد عندما يكون هناك تصوف، فكل شيء في مقام الفناء لا وجود له، فالمتصوف لا يرى إلا الحق، فيحجب كل شيء ماعدا هذا الحق، فكل شيء في الإنسان ليس له وجود ما دام الإنسان يطمح إلى درجة الصفاء.

والفناء يتضح بشكل كبير في تصور **أبو المنصور الحلاج**، حين يعبّر عن هذا بقوله:"من أسكرته أنوار التوحيد، حجبته عن عبارة التجريد،بل من أسكرته أنوار

التجريد،نطق عن حقائق التوحيد،لان السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم". (طه، 2017، ص 154)، فالفناء -حسب الحلاج- هو الدرجة التي يصل إليها المتصوف بحيث يفقد وعيه بوجوده، فعندما ينطق بالتوحيد ويفهم كل ما هو غيبي مجرد، هنا تفنى الذات الإنسانية لترقى إلى مرتبة تشرق فيها الشمس في نفس الإنسان تجعله يرتقي أكثر، ليصل إلى المراتب العلى، ففقدان الوعي هنا معناه خروج المتصوف من الوعي العادي للوصول للوعي الصوفي، وكذلك ربط ابن عربي الفناء بالبقاء، وجعل من البقاء صفة إلهية، والفناء صفة بشرية، وأن الغاية من الفناء هي تحقيق البقاء عن طريق ما يطلق عليه المتصوفة بكشف الحجب، بحيث لا تصبح هناك أشياء غير معروفة للمتصوف، وهاته الدرجة يصل إليها الإنسان بمقدار أعماله الحسنة، وقيامه بالعبادات التي يقوم بها في سبيل الوصول إلى مرحلة صفاء النفس.

إذ أن الإنسان عندما يصل إلى هاته المرحلة من التقوى واليقين؛ يسعى لتحقيق الجنة، فالمعرفة "التي تتمّ في حال الفناء عند الصوفية إدراك مباشر يتميز بالصدق والوضوح، وتنأى عن كلّ ما هو مادّي، أو ما يتعلق بموضوعات عالم الحس"، (عبد الباري، 1997، ص 175).

فالفناء يعتبر من المراتب العرفانية الصوفية التي يسعى المتصوف لتحقيقها، فكلما تقرب إلى الله بالعبادات والنوافل، تفنى ذاته في سبيل تحقيق هاته الغاية، فمعرفة الله تتميز بالوضوح، فيزول الغموض الذي كان يعتري الإنسان، وصادقة لأنها نابعة من قلب وحس المتصوف، فلا توجد الماديات، فهذا العالم الذي يعيش فيه المتصوف عالم روحي لا علاقة له بعالم الحس والمادّة.

فلقد" انتهى الحب الإلهي بالصوفية إلى ذروة التجربة الروحية، إلى مقام الفناء، ففنوا في محبوبهم الأعلى فناءً لم يشاهدوا خلاله غير جمال الحبيب وهم في بحر الفناء الزاخر" (سرور، 2012، ص 153).

إن المتصوف يسعى إلى تصفية نفسه من كل الذنوب والآثام التي تلبّسته، وذلك في سبيل تزكية نفسه، إذ يعتبر العشق الإلهي في التصوف؛ وخاصة عند **رابعة العدوية** هو بلوغ ذروة التجربة الروحية، التي تصل إلى الفناء، فكلما أحب الإنسان الله أفنى ذاته ووجوده وجسمه وروحه في سبيل هذا الحب، الذي يتميز بأنه حالة يشعر فيها المريد بالصبر والزهد عن كل ما هو مادي حسي، فالوصول إلى الله بالتعبد والتقشف والتخلي عن كل لذات الحياة من أهمّ أسباب نيل الرضا، والفوز بالآخرة.

والذي يسير في طريق التصوف يرى أن كل شيء فداء لله هنا ترقى نفسه إلى مقام من مقامات التصوف وهو مقام الفناء فهو في هذه المرحلة لا يرى شيئا سوى محبته لله التي تحقق له سوى محبته التي يشعر فيها بالسعادة الابدية التي لا تظهر امامها كل التضحيات والعبادات التي يقوم بها فهنا لا يقوى على مجابهة هذا الفناء الذي يوصله إلى تحقيق رضا الله لذاته.

حسب حنفي الصوفية "جعلوا الذوق مرادفاً للعقل وسيلتين لغاية واحدة، فالصوفي يشاهد ما يعقله الفيلسوف، والفيلسوف يعقل ما يشاهده الصوفي" (أبو الخير، 2011، ص 131)، فالتصوف حسب حنفي له هدف مزدوج: هو استعمال العقل والوجدان معا، ومنه يتعاون مع الفيلسوف في المشاهدة، والمقصود به هو الجانب الروحي في الإنسان، بينما الفيلسوف يستخدم المنهج العقلي من أجل الوصول إلى الحقيقة، فالتجربة الذوقية بمثابة العقل عند المتصوفة، لكن هذه التجربة عند حنفي، الذي قرأ التصوف تتميز بالفناء.

وهذا الجانب من التصوف يقول فيه حسن حنفي:"وإذا كانت قيم الصوفية في السابق هي الفناء والزهد والعزلة كرد فعل على الظلم والبذخ، فإن المطلوب هو تحويل التصوف إلى قيم المقاومة والثورة والبقاء، فالفناء يتحول إلى فناء في العمل، "كانت القيم التي يحملها التصوف تحمل طابعا سلبيا كالزهد والتقشف، فدعا إلى ضرورة ظهور قيم إيجابية تدعو إلى كل ما هو حركي يحقق غايات عملية في حياة الإنسان، ومن القيم التي دعا إليها

الخير والرحمة والتعاون كلها ايجابية تساعد في النهوض وتحقيق التطور للإنسانية. (ولد أباه، 2011، ص 36).

إنّ حسن حنفي يطبق منهجاً جديد في دراسة التصوف هو"تحليل الخبرات الشعورية لمعرفة مدى صدق التجارب التي يحللها الصوفية، ومدى تطابقها مع التجارب الإنسانية"، فالتصوف من وجهة نظر حنفي يحتاج إلى منهج جديد، وهو تحليل الخبرات التي توصل إليها المتصوفة ومدى مصداقية التصوف الإسلامي، مع باقي التجارب الصوفية الإنسانية، فهنا يكون طابع التصوف هو النزعة الإنسانية والبقاء، وليس الفناء والسلبية. (حنفي، ص 20)، وبهذا يكون حنفي قد أعاد بناء علم التصوف انطلاقا من الإنسان وهو الغاية في أن واحد.

خاتمة :

نستنتج من خلال ما سبق أن:

- التصوف يعتبر من التراث المهم الذي تتميز به الحضارة الإسلامية، فقد حاول المتصوفة تحقيق ذواتهم من خلال العمل على تصفية النفس وتزكيتها من خلال العبادات، والابتعاد عن شهوات الدنيا وملذاتها.
- يمكن القول أن مشروع حسن حنفي من خلال قراءته للتراث الإسلامي،فهو يهدف لإعادة بعث الجوانب الإنسانية في التراث وإحيائها كوسيلة لتحقيق التقدم.
- اعتبر حسن حنفي التصوف بأنه أول العلوم الإسلامية الذي يحمل بذور الإنسانية، لأنه ركز على الجانب الروحي في الإنسان بعيدا عن كل ما هو مادي فقد حاول إعادة بعث الجوانب الروحية في التراث الإسلامي كالإنسان و البقاء .
- حاول حسن حنفي في مشروعه أن يحول غاية التصوف من فناء في الدنيا إلى بقاء، وبالتالي يصبح التصوف أكثر فعالية، ويحقق من خلال هذا الإنسان منافع دنيوية ودينية فقد أعاد بناء العلوم وعلى رأسها علم التصوف.

- اعتمد حسن حنفي في نقده للتصوف كألية لإعادة بنائه وفق احتياجات العصر،فيصبح التصوف أداة فاعلة في المجتمع من أجل تحقيق تحضره، وتجاوز التخلف الذي تعانيه الأمة العربية الإسلامية.
- يعد مشروع حسن حنفي المشروع الأكثر حضارية من خلال إعادة بنائه للعلوم، وخاصة علم التصوف الذي راهن فيه على الإنسان، وجعله ركيزة أساسية. فإلى أي مدى حقق حسن حنفي هذا التأسيس لعلم التصوف انطلاقا من الإنسان ؟

قائمة المصادر والمراجع :

حسن حنفي، موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية،ط4،مصر، 1999

حسن حنفي،من الفناء إلى البقاء، ج1، دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2009

ابن سينا، الإشارات والتنبيهات،دار المعارف،ط3،القاهرة،1994.

أبو العلاء عفيفي،التصوف الثورة الروحية في الإسلام، هنداوي،دط،المملكة المتحدة،2011.

اسماعيل مهنانة وآخرون، الفلسفة العربية المعاصرة مواقف ودراسات،مركز الوحدة العربية ندط،بيروت،دس.

التفازاني أبو الوفا الغنيمي،مدخل إلى التصوف الإسلامي،دار الثقافة،دط، القاهرة،دس.

جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دط، بيروت، دار الكتاب العربي، 1982

حسام الآلوسي،العقل العربي ودوره من خلال نقاده ومنتقديه،منشورات الإختلاف،دط،الجزائر،2017.

خالد حسين،النهضة في الفكر العربي المعاصر،مكتبة مدبولي،ط1،القاهرة ن2011.

سعاد الحكيم،المعجم الفلسفي،دار دندرة،ط1، لبنان،1981.

السيد ولد أباه،أعلام الفكر العربي،الشبكة العربية،ط1، بيروت،2011.

عبد الباري محمد داود، الفناء عند الصوفية المسلمين والعقائد الاخرى، الدار اللبنانية المصرية، ط1، القاهرة، 1997

عبد الباقي سرور،الحلاج شهيد التصوف الإسلامي،هنداوي،دط،المملكة المتحدة،2017.

عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط1، المملكة المتحدة، مكتبة مدبولي، 1980

علي أبو الخير،حسن حنفي ثورة في العقل وفلسفة الثورة،مكتبة مؤمن قريش،ط1،بيروت،2011.

فهد القرشي،منهج حسن حنفي،مجلة البيان،دط،الرياض،دس.